قراءة في كتاب "اللسانيات الأسلوبية" لعبد الجليل مرتاض.

Reading in the Book of Stylistic Linguistics by Abd El Jalil Mortad

الطالبة: صفية بن عطة إشراف: د. عبد المجيد مباركي

المركز الجامعي – صالحي أحمد – النعامة.

تاريخ الإرسال: 2017 /09/16 تاريخ القبول: 2018/12/24 تاريخ النّشر:2018/12/15

ملخص:

عرفت الدراسات اللغوية نقلة نوعية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث شهد مطلع هذا القرن اهتماما كبيرا باللّسانيات، ليمتدّ هذا الاهتمام ويشمل حقل الدراسات الأدبية والإبداع، بوصفها نصوصا إبداعية في الأصل.

وقد تُوّج هذا الاهتمام بنشوء علم جديد، فأصبح منهجا ومدخلا للنصوص الأدبية، لتحديد خصائصها وسماتها الجمالية ألا وهو" الأسلوبية"، التي أقرّ ميشال أريفاي أنّها وصف للنص الأدبي حسب طرق مستقاة من اللسانيات.

ولقد حاولنا في هذه الورقة البحثية، والتي جاءت عبارة عن قراءة في كتاب"اللسانيات الأسلوبية" لعبد الجليل مرتاض، أن نبين العلاقة التي تربط بين العلمين.

الكلمات المفتاحية: عبد الجليل مرتاض؛ اللسانيات؛ اللسانيات الأسلوبية.

Abstract :

Linguistic studies have undergone a quantum leap towards the end of the 19th century and the beginning of the twentieth century. At the beginning of the 20th century, the interest of linguistics was greatly appreciated. This interest extends to the field of literary studies and creativity as creative texts.

This attention was crowned with the emergence of a new science, which became a method and an introduction to literary texts, to define their characteristics and aesthetic features, which

is "Stylistic", which Michel Arevay recognized as a description of the literary text by methods derived from linguistics.

We have tried in this paper, which came from a reading in the book "Stylistic Linguistics" AbdElJalil Mortad, to show the relationship between the two scientists

Key words : Abd El Jalil Mortad; Linguistics; Stylistic Linguistics.

1/التعريف بالمؤلّف:

عبد الجليل مرتاض من مواليد مسيردة (تلمسان)، حاصل على دكتوراه دولة في الدراسات اللغوية، عمل أستاذا في التعليم الثانوي، ثم أستاذا في الجامعة، ثم أستاذا زائرا في جامعات الوطن، كما أشرف على عديد رسائل الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية وعلومها، وناقش عشرات مذكرات الماجستير في مختلف الجامعات الجزائرية، إضافة إلى إسهامه في تأهيل أساتذة جامعيين داخل الجزائر وخارجها.

أُسند إليه عديد الوظائف الإدارية في التعليم العالي:

- رئاسة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان (من 1978 إلى 1981).
- مدير معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان (من 1981 إلى 1984).
- مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للغات، والأدب العربي بتلمسان (من 1984 إلى 1990).

ومن نشاطاته العلمية الأخرى نذكر ما يلي:

- عضو هيئة التحرير لمجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر منذ سنة 1999 إلى يومنا هذا.
- عضو في هيئة تحرير مجلة المجمع الجزائري للغة العربية.

- خبير في مجلات جامعية، وطنية عديدة.
- خبير في جائزة اللغة العربية التي يمنحها المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر كل سنتين.[1]

وقد ألّف الدكتور عبد الجليل مرتاض ستّ وعشرين كتابا، تتراوح بين ما هو لغوي، وماهو لهجي، وما هو أدبي، وما هو لساني محض، إضافة إلى أبحاث ودراسات في مختلف الدوريات والمجلات العربية المحكمة أكاديميا، في مختلف العلوم: لسانيات، مصطلحية، نقد لساني، آداب ونحو.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر عناوين بعض المؤلفات على النحو التالي:

أ/ في رحاب اللغة العربية:

كتاب اشتمل على ستة أقسام، تناول المؤلف في القسم الأول الحديث عن أصالة النحو العربي من عدمها، وتأثير النحو الأجنبي في نشأة الدرس اللغوي العربي، خاصة المنطق الأرسطي.

لينتقل إلى القسم الثاني، الذي تعرّض فيه إلى مقاربات تشخيصية للإشكالية اللغوية في الوطن العربي. أمّا القسم الثالث، فقد خصّصه للحديث عن أنظمة لسانية كانت مهملة في اللغة العربية في نظره.

وختم الكتاب بقسم جعله خاتمة ما سبق، حيث قدّم فيه بصمات تركها الاستشراق في اللغة العربية.

ب/ دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة:

قسّم المؤلّف كتابه على بابين، وسمَ الباب الأول ملامح تركيبية في اللغات السامية، ضمّ ثلاثة فصول هي كالتالي: الفصل الأول، قدّم فيه نبذة تاريخية عن السامية والساميين، أما الفصل الثاني فقد تكلّم فيه عن العلاقات اللغوية بين اللّغات السامية، أمّا الفصل الأخير، تعرّض فيه للحديث عن التراكيب اللسانية في اللغات السامية.

وعنون الباب الثاني بالتراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة، قسّمه على أربعة فصول: الفصل الأول في البنية السانتاكسية، والفصل الثاني في البنية المورفولوجية، أما الفصل الثالث في البنية المعجمية والدلالية، وقد كان الفصل الرابع في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب.

أمّا عن مجال الإبداع الأدبي، فقد لمع نجم عبد الجليل مرتاض في سماء الرواية، حيث أعطاها صبغة خاصة وطابعا محلّيا، حين مزج بين أفكاره وسيرته الذاتية، من أمثلة ذلك: عقاب السنين، دموع وشموع، أنتم الآخرون...

أمّا فيما يخص المجال اللساني والذي سنخصّه بالبحث في مقالنا هذا، فقد جاءت مؤلفات الدكتور عبد الجليل مرتاض لتؤكّد ضرورة العودة إلى التراث العربي القديم.

وسأخصّص هذا البحث القصير بالتعريف بكتاب " اللسانيات الأسلوبية" وأهم القضايا التي جاء بها المؤلّف.

2/محتوى الكتاب:

يقع الكتاب في مئتين وخمسة وأربعين صفحة، وهو من إصدارات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ببوزريعة بالجزائر العاصمة.

الكتاب في مجمله رؤية نقدية، سعى فيها المؤلف لضبط المصطلحات اللسانية والأسلوبية، فقد حوى الكتاب قضايا متشعبة لها صلة بالدرس اللساني الحديث، وربطها بالأسلوبية.

عالج المؤلّف في القسم الأوّل وهو بعنوان: "البنيوية وقواعد التحليل اللساني"، جميع المصطلحات التي تتعلق بالبنية، حيث ركّز في هذا المقام على ضرورة ضبط المصطلحات وهضمها، يقول:" إنّ هضم نظرية لسانية جديدة أو قديمة يقتضي أولا، وقبل أي شيء هضم مصطلحاتها"[2]، كما عرّج على المبادئ العامة للتحليل البنيوي، وخصّ بالذّكر قاعدة المثولية وهي قاعدة متأصّلة في تراثنا العربي القديم، حيث أشار سيبويه إلى هذه القاعدة من خلال المسند والمسند إليه.[3]

أمّا القسم الثاني فوسمه " النظام اللساني"، تناول فيه المؤلف عديد المحاور اللسانية، حيث وضّح مفهوم النظام اللّساني، وكيفية عمله، ليختم هذا القسم بمعطيات مشخّصة للنصّ، استنادا إلى النظام اللّساني، يقول:" إنّ النص مؤلّف من كلمات بعضها متعدّد المورفيمات، وبعضها الآخر أحادي".[4] وقد مثّل لذلك ببيتين من معلّقة امرئ القيس:

فقلت لها سيري وأرحي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلّـــــــل

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معـــا كجلمود صخر حطّه السيل من عل

أمّا القسم الثالث من الكتاب فهو بعنوان" النص. هذا المعلوم المجهول"، تدور عناوين هذا الفصل حول ماهية النصّ، وعلاقته باللسانيات، فقد اهتمت اللسانيات بالخطاب الأدبي الذي عادة ما يكون أبعد من مجرّد جملة.[5]

وكان القسم الرّابع بعنوان" النظام اللساني في مستوى النص"، ركّز المؤلّف فيه الحديث عن لسانيات النص، وعلاقتي التركيب والاستبدال، فالنص ما هو إلّا عبارة عن تتابع وحدات تتابعا نظاميا، بين باث ومتلق، فالوحدات اللسانية المتتابعة، ودراسة عناصرها في السلسلة الكلامية، هي دراسة تركيبية، تعترض مع الاختيارات التي يرغب فيها المتكلم، وهذه الاختيارات تنتمي إلى المجال الإبدالي.[6]

وقد جاء القسم الخامس بعنوان: " ميشال أريفي والسيميوطيقا الأدبية"، يرى المؤلّف فيه أنه من غير المنصف الحديث عن بنية النص الأدبي، دون الحديث عن ميشال أريفي، وأعماله السيميوطيقية الأدبية، حيث قصر المؤلّف الحديث عمّا له صلة بالنص الأدبي من جهة، وما يعمل على إثراء القراءة النّصية من جهة أخرى.

أمّا القسم السادس والسابع، جاءا بعنوان" اللسانيات الأسلوبية" و"اللسان والأسلوب" على الترتيب، تعرّض في القسم السادس إلى ضبط مفهوم الأسلوب من وجهة لسانية عامة يقول: عادة ما يعرّف اللسانيون المحدثون الأسلوب بأنه الصورة أو الشكل الخاص بسمات لسانية"[7]، كما أورد تعاريف كلاسيكية غربية للأسلوب، متطرّقا إلى علاقة التناص بالأسلوب، مفرّقا بين الأسلوب المباشر وغير المباشر، لينتقل بعد ذلك إلى تعريف الأسلوبية، والفرق بينها وبين الأسلوب، يقول:" الأسلوب ظاهرة لغوية متوقعة، بينما الأسلوبية ظاهرة كلامية لا متوقعة"[8]، حيث إنّ المؤلّف لم يهمل أسلوبية "سبيتزر" و"جاكبسون"، وتأثر مؤسسها الفعلي "شارل بالي" بدي سوسور في تحديده لمفهوم الأسلوبية، كما عني بالأسلوبي الأمريكي "ريفاتير" وتعريفه للأسلوبية.

وفي القسم السابع، تناول العلاقة بين اللسان والأسلوب، فبما أنّ اللسان هو نظام قواعدي مشترك خاص بمجموعة إنسانية معينة، والأسلوب هو صفة من صفات

الذات المتكلمة، ومن هنا يمكننا القول أنّ العلاقة بينهما، لا تخرج عن إطار اختيار المتكلم معجما خاصا يوظفه حسب غاياته التعبيرية، ويركّبه في شكل جديد وفريد، ينزاح عن المألوف ويقدمه للقارئ في أبهى حلة فينفرد بأسلوبه الخاص.

والقسم الثامن موسوم" مرمّمات العمل الأدبي"، تناول فيه المؤلف العمل الأدبي وكيفية التعامل معه، حيث يمكن للمحلّل الأدبي، أن يدرس المدونة الأدبية من منظور ثبوتي دون الالتفات إلى التطور الزمني الذي حصل للمدونة.

وقد خصّص القسم التاسع للحديث عن " العمل الأدبي في ضوء الملفوظ"، استهله بتعريف الملفوظ والتلفظ، فالملفوظ " مجموعة من الجمل التي يتبع بعضها بعضا"[9]، أما التلفظ" هو الفعل نفسه لإنتاج ملفوظ ما، وهذا الفعل يرجع إلى أثر المتكلم الذي يسخّر اللغة لحسابه الخاص"[10]، ليختمه بدراسة تحليلية تطبيقية لإحدى قصائد امرئ القيس الفخرية، وتشريحها إلى ملفوظات.

أمّا القسم العاشر عنون ب " التلفظ"، فبعد أن ضبط المؤلف في القسم السابق مصطلحي" التلفظ" والملفوظ"، انتقل في هذا القسم للإشارة إلى أن التلفظ نشاط لغوي فردي يتكون من عنصرين هما: المتكلم وهو من يلفظ، والمخاطب من يوجّه إليه الملفوظ[11]، حيث ذكر أن التلفظ بوصفه نشاطا خاصا، يعود إلى علم الاجتماع اللغوي من جهة، وإلى الأسلوبي من جهة أخرى.[12]، ليختم بتصنيفات ثلاثية للملفوظ: ملفوظ منقول إلى المتكلم، ملفوظ منقول إلى المخاطَب، ملفوظ منقول إلى الحالة التي يوجد عليها التلفظ.[13]

وجاء القسم الحادي عشر بعنوان: " الواصلات الكلامية"، ذكر المؤلف أنّ ما يهم اللغوي في مجال التلفظ والملفوظ، العلامات اللسانية التي يتغير معناها، فكلمات اللغة ليست قارة وإنما في تطوّر دائم، إذ لجأ اللسانيون حديثا إلى مايسمى بالبراهين

الضمنية(les déictiques)، يعني هذا المصطلح:" كل عنصر لساني من شأنه أن يشير في قضية ما، إلى جهة أو إلى شيء معين، كالضمائر المتصلة أو المنفصلة الموغلة في الإبهام كالجهات المكانية والزمانية والإشارية"[14]، ومصطلح (embrayeur)، "وهو مصطلح ميكانيكي، يعني جهازا من أجهزة الوصل"[15]. وقد اعتمد المؤلف في دراسته رومان جاكبسون، باعتباره درس العلاقات البرهانية الضمنية دراسة لسانية نصية واسعة.[16]

أما القسم الثاني عشر فهو بعنوان:" العلاقات البرهانية الضمنية"، توسع المؤلف في هذا القسم، في العلاقات البرهانية الضمنية، وخصّ بالذّكر الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة.

وكان القسم الأخير بعنوان "الموضَعة الزمانية لسانيا وفنيا"، عالج فيه المؤلف الزمن وعلاقته بالملفوظ، فالزمن على حدّ قوله:" فئة نحوية تقترن علاقتها اقترانا حصريا بحقيقة تلفظ فعل والإشارة به إلى ماض/حاضر/مستقبل".[17] كما فرّق بين الزمن في الأجناس الأدبية، والزمن النحوي متطرّقا إلى الشعرية الزمنية، مستشهدا لذلك بثلاثة أبيات الأولى من معلّقة امرئ القيس.

2/منهج الكتاب:

أول ما يلفت انتباه قارئ كتاب" اللسانيات الأسلوبية"، خلوّه من مقدّمة وخاتمة، الأمر الذي يثير لدينا كمّا من الأسئلة: لماذا أسقط الكاتب المقدّمة؟ مع أنّه منهجيا، ومن المتعارف عليه، أنّ أول مايبدأ به الباحث هو المقدمة، لما لها من أهمية في التعريف بموضوع البحث، ومنهجه وأهدافه، وآخر مايختم به الباحث، خاتمة عامة شاملة لأهم النتائج المتوصّل إليها خلال البحث.

وبعد تفحّص الكتاب يتبين أن المؤلّف قد مزج بين مناهج مختلفة، بحسب طبيعة الموضوع، حيث نجده قد وظف المنهج التاريخي في تتبعه لتطور المصطلحات اللسانية، فيستعرض أقوال وآراء العلماء فيها، ثم يقف مقارنا بينها، كما لجأ إلى المنهج الوصفي، وذلك بإعمال عقله وإبداء رأيه في نصوص كثيرة أوردها.

ولكي نكون عمليين علميين فيما ذكرناه، سنقدّم مجموعة من الأمثلة التي توضّح تنويع المؤلّف في منهج كتابه، فمن أمثلة المنهج التاريخي تتبعه لمراحل تطور الدّراسات الأسلوبية عند جورج مونان من بلاغة شائخة إلى أسلوبية وراثية إلى أسلوبية وصفية، فالبلاغة الشائخة ترشدنا إلى كيف نكتب؟ وكيف نتواصل؟ أما الأسلوبية الوراثية فتحاول الإجابة عن لماذا يكتب الكاتب؟ والأسلوبية الوصفية تجيب عن نفس سؤال البلاغة الشائخة، لكن من وجهة نظر مختلفة، لأنّ اللّسانيين المحدثين يهتمون في المقام الأول بالقارئ وليس الكاتب.[18]

ومن الأمثلة على منهجه الوصفي ما نستشفه من عبارات:" بنظرة ملفوظية على هذا النص المرقسيّ نلاحظ"[19]،" ولا نريد أن نثقل على كاهل المتلقي، ولذا سنجتزئ بتشريحات نموذجية لكنها تحاول أن تمسح النصّ مسحا عامّا".[20]

وما يميّز أسلوب الكتاب أيضا، ابتكار المؤلف لمصطلحات جديدة اعتمدت قاعدة النّحت في العربية، ومن أمثلة ذلك: فقلغيا أي (معياريا)، فقلغة أي (فقه اللغة)، علهجي أي (عالم اللهجات)، تحنفية أي (تحليل نفسي)، فومقية أي (فوق مقطعي)، فوقطية أي (فوق قطعة)، علجغة أي (علم الاجتماع اللغوي).

3/قيمة الكتاب:

لكلّ كتاب قيمة علمية وتاريخية، سواء كثرت فوائده أو قلّت، كذلك هو كتاب "اللسانيات الأسلوبية"، الذي يشكّل إضافة جديدة جديرة بالمتابعة والاهتمام في مجال الدراسات اللغوية وبخاصة اللّسانيات، لأهل الاختصاص، ويؤكّد هذا الأمر المنهج الذي قيّده صاحب الكتاب، من تحليل الظواهر اللسانية والأسلوبية إلى تطبيقها على نماذج من الشعر العربيّ القديم.

وخلاصة القول: إنّ كتاب اللّسانيات الأسلوبية، كتاب يمُكّن من امتلاك المعرفة العلمية الواسعة، إلى جانب اكتساب الروح النّاقدة المتفحّصة.

الإحالات والهوامش

[1] الجهود النحوية عند عبد الجليل مرتاض، مُحَمَّد محمود بن ساسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، فرع اللغة والأدب العربي، تخصص النحو العربي (مدارسه ونظرياته)، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ، 2010.

[2] اللسانيات الأسلوبية، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، دط، دت، ص: 06.

[3] الكتاب، سيبويه، تحقيق مُحَمَّد عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 23/1.

[4] اللسانيات الأسلوبية، ص: 51.

[5] اللسانيات الأسلوبية، ص: 61.

[6] اللسانيات الأسلوبية، ص:81.

[7] اللسانيات الأسلوبية، ص: 92.

[8] اللسانيات الأسلوبية، ص: 112.

[9] اللسانيات الأسلوبية، ص: 175.

[10] اللسانيات الأسلوبية، ص: 176.

[11] اللسانيات الأسلوبية، ص: 194.

[12] اللسانيات الأسلوبية، ص: 198.

[13] اللسانيات الأسلوبية، ص: 207.

[14] المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وستروس وآخرون، ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط2، 2000، ص: 204.

[15] اللسانيات الأسلوبية، ص: 209.

[16] اللسانيات الأسلوبية، ص: 209.

[17] اللسانيات الأسلوبية، ص: 225.

[18] اللسانيات الأسلوبية، ص: 107، 108، 109.

[19] اللسانيات الأسلوبية، ص: 179.

[20] اللسانيات الأسلوبية، ص: 179.

المراجع المعتمدة:

1.الجهود النحوية عند عبد الجليل مرتاض، مُحَمَّد محمود بن ساسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، فرع اللغة والأدب العربي، تخصص النحو العربي (مدارسه ونظرياته)، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ، 2010.

2.الكتاب، سيبويه، تحقيق مُحَمَّد عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

3.اللسانيات الأسلوبية، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، دط، دت.

4.المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وستروس وآخرون، ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط2، 2000.